التناول النسقي لتناقل الصدمة النفسية عبر الأجيال

Systemic approach for psychological trauma transmission transgenerational.

Approche systémique de la transmission transgénérationnelle du traumatisme psychique.

ط.د. زينة موهاب

مخبر الأنثروبولوجيا التحليلية وعلم النفس المرضي لجامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2.

أ.د فطيمة موسى

مخبر الأنثروبولوجيا التحليلية وعلم النفس المرضي لجامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2.

تاريخ الإرسال: 14-06-2021 - تاريخ القبول: 24-03-2022 - تاريخ النشر: 29-05-2022

ملخص

بالرغم من وجود العديد من البحوث والمنشورات العلمية التي تناولت إشكالية تناقل الصدمات النفسية عبر الأجيال بحداثتها، وهذا لتعقيد مظاهرها على المستوى الفردي والعائلي. ينطلق هذا البحث من فكرة أن المعاناة النفسية التي يُظهرها أفراد العائلة الجزائرية الحالية تأخذ معناها من المعاش الصدمي للأجيال السابقة، حيث طرحت فرضية البحث على النحو التالي: الصدمات المعاشة من طرف أفراد جيل حرب التحرير الجزائرية نقلت عبر الأجيال لأفراد عائلتهم الحالية عن طريق ميكانيزمات فردية وسياقات علائقية. وللتأكد من مدى صحة الفرضية تبنينا النظرية السياقية للتناول النسقي كإطار مرجعي، واعتمدنا على المنهج العيادي عن طريق دراسة حالة للعائلات الثورية. من خلال تحليل النتائج المتحصل عليها من المقابلات النسقية، المخطط العائلي الجيلي، ونتائج دليل: تقييم تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال، الذي قمنا ببنائه لغرض هذا البحث، تم التأكد من صحة الفرضية المطروحة.

الكلمات الدالة: الصدمة النفسية؛ الإرث النفسي؛ التناقل العابر للأجيال؛ العلاج النسقي.

Abstract

Despite the large number of scientific publications dealing with the transmission of psychological traumas' issue and the complexity of its pathologic manifestations on the individual familial plan, this transgenerational problematic always preserves its actuality. These researches start from this postulate: the temporary Algerian family members' suffering gets its meaning from the trauma experienced by the previous generations. The main hypothesis is formulated as follows: the psychological

traumas experienced by the Algerian war of independence generations have been transmitted to the actual family members through individual mechanisms and relational processes. We have adopted a theoretical background, the contextual approach of systematic current. In our work, we focus the clinical methods through a case study of families that have, at least, one of these members of the previous generations involved in the war. Analysis of the data collected through systemic interviews, family genogram and the evaluation guide of the transgenerational transmission of the trauma, we conceived, have confirmed our research hypothesis.
Keywords: psychological trauma; psychological heritage; transgenerational transmission; systemic therapy.

Résumé
Malgré le nombre important des recherches et publications scientifiques traitant la question de la transmission transgénérationnelle des traumatismes psychiques, cette problématique garde toujours son actualité au vu de la complexité de ses manifestations pathologiques sur le plan individuel et familial. Cette recherche part du postulat que la souffrance des membres de la famille algérienne contemporaine prend son sens dans le vécu traumatique des générations précédentes. L'hypothèse principale est formulée de la manière suivante : Les traumatismes psychiques vécus par la génération de la guerre algérienne de libération ont été transmis aux membres de la famille actuelle à travers des mécanismes individuels et des processus relationnels. Nous avons adopté en arrière-plan théorique l'approche contextuelle du courant systémique. Nous nous sommes basés sur la méthode clinique à travers l'étude de cas des familles ayant au moins un de leurs membres des générations précédentes impliqué dans la guerre. L'analyse des données recueillies à travers les entretiens systémiques, le génogramme familial et le guide d'évaluation de la transmission transgénérationnelle du trauma, guide conçu par nous-même, a validé notre hypothèse de recherche.
Mots-clés: Traumatisme psychique; héritage psychique; transmission transgénérationnelle; thérapie systémique.

مقدمة

تعتبر العائلة بناء تاريخي واسطوري لعدة أجيال، حامل لقصص عديدة تكون أحيانا غامضة وأحيانا أخرى متناقضة، لها طقوس خاصة بها تعبر بها عن قيم وتقاليد وعادات تظهر في شكل قواعد قد يحترمها أفراد العائلة، كما قد لا يتم احترامها. وفي هذه السيرورة تسجل الأحداث السعيدة والمحزنة، حيث تترك انطباعا في الجو العائلي والذي سيؤثر بدوره على أفراد العائلة، ولكن ليس بالضرورة بنفس القدر. وهذا الانطباع لا ينقل فقط

إلى أجيال متتالية، وإنما يؤثر كذلك على أشكال وطرق نقله وعلى القواعد المتعلقة باستقبال ومعالجة هذا الموروث. والعائلة الجزائرية لا يخلو سجلها التاريخي من أحداث على الأرجح أغلبها أليمة وصادمة، كخلاصة لتاريخ المجتمع الجزائري ككل منذ فترة الاستعمار لحد الآن. وكنتاج لذلك حدثت تغيرات على بنيتها وتوظيفها، كما ظهرت عليها بعض الخصوصيات التي تبرز معالمها من خلال طبيعة التفاعلات بين افرادها، والتي قد تطغى عليها أحيانا بصمة الاختلال، حيث أصبحت مسرحا لعدة تظاهرات عيادية من أبرزها الصدمة النفسية.

1. عرض الإطار لمعارفي والإشكالي

1.1. تحديد عام للإطار المعرفي

بالرغم من العديد من البحوث والقراءات التي نجدها في التراث السيكولوجي منذ سنوات الستينيات (1960)، إلا أن إشكالية تناقل الصدمات النفسية عبر الأجيال أو بين الأجيال تحتفظ دائما بحداثتها، كما أنها مركز اهتمام الباحثون ذوي التوجه التحليلي والنسقي. ومؤخرا أصبحت إهتمام العلوم العصبية، وهذا لتعقد مظاهرها المرضية وصعوبة التعرف والكشف عن تلك السياقات الفردية والعلائقية التي تضمن هذا التناقل من جيل لآخر. كما التمسنا في قراءاتنا النظرية حول هذا الموضوع، الصعوبة التي وجدها الباحثون في تناول مفهوم "التناقل العابر للأجيال" في بعده الإجرائي. ضمن الممارسة العيادية مع الأفراد المصدومين جراء تعرضهم لأحداث صادمة لهم ولعائلاتهم (عنف عائلي، عنف سياسي و/أو إرهابي، اعتداءات، اغتصاب، كوارث ... الخ)، لاحظنا مع العديد من الحالات معاش صدمي جد خاص، لا يجد معناه سوى في تاريخ العائلة لأنه يخص جيل أو أجيال سالفة، وهذا ما كان يعطينا انطباع أن هذه العائلات لم تنتعش مع مرور الوقت، وأن الأفراد في هذه العائلات يحدث تماسكهم من خلال رهانات وقضايا ضمنية.

لقد اهتم العديد من الباحثين، بمختلف توجهاتهم النظرية، بموضوع الإرث العائلي خاصة ذلك المتعلق بالصدمات النفسية التي عاشتها الأجيال السالفة، إلا أنه لا توجد لحد الآن نظرية تحدد لنا هذه السياقات العائلية (النفسية أو العلائقية) لتناقل هذا الإرث العائلي بصورة واضحة ومحددة. بخلاف ما قدمه الباحث برتراند كرامر الذي

تناول سياقات تناقل الصحة النفسية(Cramer, 1996)، كالإحساس بالأمن والقدرة على الإبداع، حتى وإن كانت محدودة، عكس السياقات التي تعني الفشل والانحراف. وحسب هذا الباحث يمكننا أن نطرح فكرة تناقل الهشاشة النفسية في عائلة ما، والتي يمكن أن تنقل عبر الإحساس بالتهديد أو اللاأمن. التمسك الصارم بالخاصية المحددة لإبداع أفراد العائلة، بصفة أو بأخرى تعزز القدرة على الفشل والانحراف أكثر من تدعيم وتشجيع وخلق جو النجاح والازدهار للكل.(Cramer, 1996) والذاكرة الخاصة بكل عائلة، حسب سارج حيفز (Hifez, 2004)، لها مميزات وتاريخ لا يعطينا إلا جانب من توظيفها. وكل من المعايير، التقاليد، القواعد، القوانين المكتوبة والمنقولة شفويا هي الجوانب العادية من الثقافة والتي تعطي معنى لما يمكن أن نسميه بالمؤسسة العائلية. والإرث الثقافي للعائلة يظهر أساسا من التصورات الجماعية والمبادئ والمعايير المشتركة بين أفرادها، سواء كانت سوية أو مرضية.

يمكن التحدث أيضا في هذا السياق عن تناول آن-أنسلين تشوتزنبرجر لإشكالية التناقل العابر للأجيال (Schutzenberger, 2004). ولفهم أكثر لهذا السياق، اقترحت وجود نوعين من التناقل: الأول هو "عابر للأجيال"، ويتعلق الأمر هنا بالأجيال البعيدة ويأخذ معالمه من اللغة، إعادة البناء والتحليل النفسي للراشد. أما الثاني "التناقل ما بين الأجيال"، ويشمل كل ما يعني الأجيال المتصلة: الأبناء، الأباء، الأجداد والعائلة الموسعة.

يمر هذا التناقل خاصة عن طريق السجل غير اللفظي، أو عن طريق اللجوء للسلوك (النسيان، إحمرار أو إصفرار، تغيير أو تجنب النظر، التغيير الفجائي لموضوع الحديث). حسب آن-أنسلين تشوتزنبرجر (Schutzenberger, 2004)، الأجيال ترابط وتنفصل فيما بينها من خلال آثار التناقل، مخلفات سيكوسوماتية، أحلام مزعجة، أعراض متنوعة. وفي أغلب الأحيان، تكون هذه الروابط في معاناة تحملها ولاء خفي(loyauté invisible) يكون معناه غير معروف لدى الأحفاد الذين يعانون منه، لكن يمكننا فهمه من خلال العمل بالجينوسوسيوغرام أو بعلم النفس الجيلي العيادي. (Mouheb & Moussa-Babaci, 2016)

غير أن كل من آنا-مريا نيكولو وإليونورا ستريناتي (Nicolo & Strinati, 2007)، يرون أن تناقل الصدمات عبر الأجيال أو بين الأجيال في الوسط العائلي يكون من خلال تناقل تلك الدفاعات النفسية التي توظفها العائلة حينها للدفاع عن الصدمة من جيل الى آخر. لكن

هذه الدفاعات المتمثلة في الدفاع عن طريق الواقع، المرور للفعل، التجسيد (somatisation)، نقل القلق غير المطاق لجيل آخر، تعتبر دفاعات عبر-شخصية (Transpersonnel)، واستعمالها من طرف العائلة يوحي إلى إحدى مستويات توظيفها، كما تَنشط هذه الدفاعات المكتسبة من طرف الطفل داخل عائلته.

لقد قدم العديد من الباحثين ذوي التوجه النسقي الكثير من الأبحاث كمحاولة لفهم سياق التناقل العابر للأجيال، حيث تناولت أبحاثهم دراسة بعض القضايا العلائقية المختلة، وتفسير أصلها،حيث سلط الضوء مؤسسو العلاج العائلي -إيفان ناجي بوزورماني Nagy-Ivan Boszormenyi، ماجدة هيرمانMagda Herman، هيلم ستيغلان Helm Stierlin، موري بوين Murray Bowen، كاترين دوكومان-ناجيNagy- Catherine Ducommun-على المظاهر المرضية المتكررة في عدة أجيال، من بين الفرضيات المتناولة في أبحاثهم، أنه ما لم يتم حله أو إرصانه في جيل سابق يكون له أثار وصدى على الأجيال التالية. (Courtois, 2003)

2.1. تحديد اشكالية الدراسة

في هذا الإطار جاء اهتمامنا كباحثين جزائريين، لدراسة سياقات تناقل الصدمة النفسية وهذا في سياق العائلات الجزائرية الثورية، قناعة منا أن جيل حرب التحرير الجزائرية قد تعرض لأشد الصدمات النفسية من طرف المحتل الفرنسي، وهذا إثر قمعه للحركة التحررية التي تبناها كل الشعب الجزائري. نظرا لما ترتب عن هذه الحرب من آلام وخسائر بشرية، وبعد عدة محاولات، تم تسجيل القضية الجزائرية سنة (1959) ضمن جدول أعمال الدورة الرابعة عشر للأمم المتحدة (كرليل عبد القادر، 2016). حيث مارس الاحتلال الفرنسي شتى أنواع التعذيب والاضطهاد على الشعب الجزائري آنذاك، وكان لأقارب المجاهدين المقبوض عليهم ولعائلات الشهداء، القسط الوفير من هذا التنوع من العذاب.

وفي الآونة الأخيرة، قد برزت شهادات عديدة عن ذلك المعاش الصدمي من طرف من بقوا على قيد الحياة، خاصة بعد صدور كتاب للجنرال الفرنسي بول أوساريس Paul Aussaresses سنة (2001)، والذي أثار جدلا دوليا حول إشكالية جرائم الحرب، والذي عرض عبر صفحاته شتى أنواع التعذيب التي مارسها على الجزائريين بحجة التحكم في

الوضع أثناء الحرب. لقد بقيت جرائم حرب التحرير الجزائرية التي لسنوات عديدة تحت الصمت، غير أنه برزت في السنوات الأخيرة العديد من المنشورات في شكل كتب ومقالات، حتى وإن يغلب على العديد منها الخطاب السياسي، إلا أنها تحوي في طياتها معالم المعاناة ومخلفات الصدمات النفسية المتعلقة بتلك الفترة على أفراد من ذلك الجيل. تلك الصدمات النفسية التي برزت معالمها لدى جيل الثورة في مرحلتها الآنية والبعد الآني حيث نجد بصماتها في كتابات فرانز فانون Franz Fanonخاصة كاتبه "معذبو الأرض"

وهذا من خلال عرضه للحالات التي كان يتابعها في مصلحة الطب العقلي والتي تعرضت لشتى أنواع التعذيب (Fanon, 1961)، بما فيهم النساء والأطفال. وحسب شهاداته لا تخلوا أي عائلة جزائرية (بمعناها الممتد) من هذه المعاناة. وعليه ينطلق بحثنا من فكرة أن المعاناة النفسية الحالية التي يمكن أن نلتمسها لدى أفراد العائلة الجزائرية الثورية تأخذ معناها في صدى المعاناة النفسية التي عاشها جيل حرب التحرير الجزائرية. حيث يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الميكانيزمات وسياقات التناقل العابر للأجيال، لتلك الصدمة النفسية التي لم يتم ارصناها من طرف الأجيال السابقة. وانطلاقا من التناول السياقي للتوجه النسقي للعلاج العائلي تم طرح التساؤل على النحو التالي: هل يظهر تناقل الصدمات المعاشة من طرف أفراد جيل حرب التحرير عبر الأجيال خلال ميكانيزمات فردية هشة (دفاعات من نوع الإنكار، مثلنة الأنا، التماهي الإسقاطي، الاضطهاد،التجنب،الدفاع عن طريق الفعل) وسياقات علائقية مرضية من نوع دائرية (كسياق التثليث، سياقا لأبوية، الولاءات المرضية) في نفس السيرورة؟

للإجابة على سؤال البحث المطروح تمت صياغة الفرضية على النحو التالي:
يظهر تناقل الصدمات المعاشة من طرف أفراد جيل حرب التحرير عبر الأجيال من خلال ميكانيزمات فردية هشة (دفاعات متنوع الإنكار، مثلنة الأنا، التماهي الإسقاطي، الاضطهاد، التجنب، الدفاع عن طريق الفعل) وسياقات علائقية مرضية من نوع دائرية (كسياق التثليث، سياق الأبوية، الولاءات المرضية) في نفس السيرورة.

2. الإجراءات المنهجية

1.2. منهج الدراسة

يهدف هذا البحث الى التعرف على سياقات تناقل الصدمة النفسية عبر الأجيال على مستوى العائلة الجزائرية في ظل المنظور النسقي، وهذا بدراسة أفراد داخل الوسط العائلي دراسة معمقة وشاملة، وتسليط الضوء على ما يسمى "بين شخصي" وبالأخص ما هو عابر للأجيال. وهذا ما يستدعي منا كباحثين إتباع المنهج العيادي الذي أسسه دانيال لاقاش (Lagache, 1949) وحدد مجالاته في كتابه الشهير "وحدة علم النفس"، حيث يرى أن المنهج العيادي يركز اهتمامه على الفرد أو مجموعة الأفراد أثناء تحركاتهم وتبادلاتهم، بهدف فهم الديناميكية والتوظيف النفسي الخاص بالفرد أو بمجموعة أفراد، وذلك حسب بعض المتغيرات، منها التاريخ الفردي والوضعيات التي يمر بها الفرد أو الجماعة. وبما أن الموضوع يتعلق بفرد أو مجموعة أفراد فإن المنهج العيادي يعتبر منهج علائقي: فهو يعمل في العلاقة وعلى العلاقة. كما يعرفه أندري ري André Rey(1964) على أنه تقنية منظمة لخدمة المشكل الذي يطرحه الباحث، فالأمر هنا يتعلق بفهم وشرح للحالة النفسية والسير النفسي.

يصب اهتمامنا في هذه الدراسة على ما هو آتٍ من الأجيال السالفة (الجيل المُستَعْمَر وجيل الثورة التحريرية) وتأثيره على الفرد في تفاعلاته مع أفراد عائلته الحالية. هذا لا يعني أننا نبحث عن السببية الخطية للمعاناة النفسية أو بالأحرى لظهور العرض، وإنما كيف يأخذ هذا العرض معناه في التاريخ والأسطورة العائلية، حيث نهتم بنقطة التقاطع بين الماضي والحاضر، أي بين ما هو سياق مرضي ونسقه العائلي الحالي. وهذا ما يوضحه (Andolfi, 1985) حول موقف الباحث والمعالج الذي يعمل في هذا الإطار حيث لا يحاول تفسير مشكل فرد يراه منعزلا بطرق استنتاجية (السببية الخطية) ولكنه يصبح فعالا داخل سياق متفاعل أي دراسة التفاعلات الدائرية.

2.2. مجموعة الدراسة

تتكون من عشر (10) عائلات جزائرية ثورية حيث يتوجب أن يكون أحد أفرادها من الأجداد (الجد أو الجدة، أو إخوة الأجداد) ممن عايشوا حرب التحرير الجزائرية وكانوا محل اضطهاد أو تعذيب من طرف الجيش الفرنسي آنذاك، إذن يتعلق الأمر بعائلات

المجاهدين والشهداء المعترف بهم من طرف السلطات الجزائرية مباشرة بعد الاستقلال. والمجموعة المقصودة في هذا البحث هم أفراد الجيل الثاني (الأبناء) والجيل الثالث (الأحفاد)، حيث تم اختيار هذه المجموعة من العائلات بطريقة قصدية.

الجدول رقم (01) يمثل خصائص مجموعة الدراسة

	الأفراد المشاركين في الدراسة	الصفة القانونية	السن	الوضعية الاجتماعية	المستوى التعليمي	المهنة
العائلة 1	1.سعاد	إبنة وحفيدة مجاهدين	46	متزوجة وأم لولدين	ثانوي	مساعدة اجتماعية
	2.سفير (إبن سعاد)	حفيد مجاهد	24	أعزب	جامعي	مهندس
العائلة 2	3.عبد الرزاق	حفيد مجاهد	23	أعزب	جامعي	طالب
	4. فريدة (أخ عبد الرزاق)	حفيدة مجاهد	26	عزباء	جامعي	موظفة
العائلة 3	5. زهرة	بنت شهيد	69	أرملة وأم لـ10 أطفال	متوسط	بدون عمل
	6. الهادي (إبن زهرة)	حفيد شهيد	32	متزوج بدون أطفال	ثانوي	بدون عمل
	7. حسين (إبن زهرة)	حفيد شهيد	46	متزوج وأب لطفلة	متوسط	طباخ وبناء
	8. ويزه (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	39	متزوجة وأم لبنتين	جامعي	بدون عمل
	9. ليلية (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	28	متزوجة وأم لبنت	جامعي	بدون عمل
	10.وردية (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	47	مطلقة وأم لطفل	ثانوي	بدون عمل
العائلة 4	11. وردية	حفيدة شهيدة	69	أرملة وأم لثلاثة أطفال	إبتدائي	بدون عمل
	12.حسين(إبن وردية)	إبن حفيدة شهيدة	43	متزوج وأب لبنتين	جامعي	موظف
	13. فضيل (إبن وردية)	إبن حفيدة شهيدة	19	أعزب	جامعي	طالب
	14. دليلة (إبنة وردية)	إبنة حفيدة شهيد	47	متزوجة وأم لولدين	ثانوي	مسيرة شركة
العائلة 5	15. حميد	إبن مجاهد	46	أعزب	ثانوي	محاسب في شركة

	16. عشور (أخ حميد)	إبن مجاهد	64	متزوج وأب لخمسة أطفال	ابتدائي	متقاعد
العائلة 6	17. نوارة	إبنة مجاهدين	65	مطلقة وأم لسبعة أطفال	ثانوي	بدون عمل
	18. سميرة (أبنة نوارة)	حفيدة مجاهدين	38	متزوجة وأم لثلاثة أطفال	جامعي	بدون عمل
العائلة 7	19. مالحة	حفيدة مجاهدين	39	متزوجة وأم لولدين	جامعي	موظفة
	20. محمد (أب مالحة)	أبن مجاهد	69	متزوج وأب لستة أطفال	جامعي	متقاعد
العائلة 8	21. حدة	بنت مجاهد	72	مطلقة وأم لأربعة أطفال	بدون مستوى	بدون عمل
	22. سعيد (إبن حدة)	حفيد مجاهد	46	مطلق بدون أطفال	جامعي	موظف
العائلة 9	23. مريامة	حفيدة مجاهد	48	متزوجة أم لبنتين	جامعي	موظفة
العائلة 10	24. ثنينة	حفيدة مجاهدين	28	عزباء	جامعي	مدربة رياضة

يمثل الجدول رقم (01) خصائص مجموعة الدراسة والمتكونة من عشر (10) عائلات، حيث شارك منها 24 فرد تتراوح أعمارهم ما بين 19 سنة إلى 69 سنة. منهم14 إناث و10 ذكور من مستويات تعليمية مختلفة، ومنهم 08 أحفاد مجاهدين، 05 أبناء مجاهدين، 09 أحفاد الشهداء و02 أبناء الشهداء. كما يمكن أن نلاحظ أن بعض الأفراد لهم صفة إبن وحفيد مجاهد أو شهيد. وأغلب أباء وأجداد هذه العائلات عاشوا أحداث صدمية متعلقة بالحرب أغلبها متشابهة، والمتمثلة في مجملها الخطف، التعذيب الجسدي، السجن، الاعتداء الجنسي، التهجير، تجريد وتخريب الممتلكات الخاصة، شاهد على تعذيب وقتل قريب، انفجار قنابل وقصف القرى.

3.2. الحدود المكانية والزمنية للدراسة

أجريت هذه الدراسة على مستوى المتحف الجهوي للمجاهد لولاية تيزي وزو، وهذا بعد إبداء مدير المتحف بموافقته واهتمامه بموضوع الدراسة، حيث وضع تحت تصرفنا مكتبة المتحف التي تحتوي على وثائق، كتب ومجلات متعلقة بفترة حرب التحرير

الجزائرية ومكتب خاص للعمل مع العائلات. قدمت لنا قائمة هذه العائلات وقمنا بالاتصال بهم هاتفيا (بالفرد الذي تحصلنا على رقم هاتفه) لدعوتهم للمشاركة في هذه الدراسة وتحصلنا على الموافقة. وأجريت هذه الدراسة في الفترة الممتدة ما بين شهر أكتوبر 2019 الى غاية شهر ديسمبر 2020.

4.2. الأدوات المستعملة

1.4.2. المقابلة العيادية النسقية

وهي عبارة عن لقاء عيادي مع فرد أو عدة أفراد من هذه العائلة (حسب الوضعية المتاحة)، اعتمدنا فيها على الأدوات النسقية، أبرزها المساءلة الدائرية والتحيز المتعدد الاتجاهات. حيث كان محتوى المقابلات التي قمنا بها (بمعدل ثلاث مقابلات مع كل عائلة) يشمل على البيانات الشخصية، التاريخ العائلي المشترك بين أفراد العائلة، الإرث العائلي العابر للأجيال، الأحداث والأمراض المتكررة ومعناها في الأسطورة العائلية، طبيعة الاتصال والعلاقات بين أفراد العائلة. التطرق للأخلاقية العلائقية بين أفراد العائلة من خلال التعرف على القواعد المتعامل بها داخل النسق العائلي، المصرح وغير المصرح بها، الأنساق الفرعية، الاتحادات والتحالفات، الحدود، الأخذ والعطاء، الاعتراف والاعتبار البين-جيلي، الولاءات وبما فيها الخفية، الأبوية والتثليث كلها معطيات ترجع لطبيعة البنية العائلية ومدى توظيفها. كما تم تناول المشاريع الفردية والعائلية ومدى التناسق فيما بينها.

2.4.2. المخطط الجيلي العائلي

يعتبر من بين أهم الأدوات النسقية التي لا يمكن الاستغناء عنها، حيث يصور لنا المخطط الجيلي الروابط العائلية كما يسمح لنا بإدراك وفهم النسق العائلي (Bowen, 1978).يعتبره بوزورماني ناجي Boszormenyi Nagy (1963) كأداة لا يمكن التغاضي عنها في الدراسات التي تتناول الموضوع العابر للأجيال لأنه يساعدنا في وضع بطاقة التاريخ العائلي، تلك المتعلقة بالعلاقات العائلية على مستوى عدة أجيال. يتم تخطيطه من طرف أفراد العائلة، وهذا بمساعدة الباحث/المعالج، وتسمح لنا المعطيات المتحصل عليها في النهاية، بفهم البنية العائلية ووضع فرضيات حول الإنتظارات المحتملة لهذه العائلة، الأدوار والعلاقات بين الأنساق الفرعية. كما تكون لنا دراية حول دورة الحياة الخاصة بالعائلة، كل ما يتعلق بالتواريخ والمراحل الانتقالية وكيف تم الانتقال من

مرحلة إلى أخرى، وبالتالي التعرف على أهم الأحداث البارزة والنماذج المتكررة والأنماط والنماذج العلائقية السائدة في العائلة وعلى مستوى عدة أجيال.

3.4.2. دليل تقييم تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال

قمنا ببناء هذا الدليل في إطار هذا البحث، والذي يهدف إلى تقييم خطر تناقل صدمة الحرب عبر الاجيال لدى أبناء وأحفاد عائلات مجاهدين وشهداء حرب التحرير، حيث يكون التقييم كمي وكيفي في نفس الوقت. كما يسمح لنا بالتعرف على الهشاشات الفردية والعلائقية، والسياقات البين-شخصية المرضية لهذا التناقل. لقد تم بناء هذا الدليل حسب الأبعاد الأربعة للواقع العلائقي للنظرية السياقية (approche contextuelle) والتي تندرج ضمن التناول النسقي، المقترحة من طرف بوزورماني ناجي Boszormenyi Nagy.

ويشمل هذا الدليل جزأين: الجزء الأول يهدف إلى جمع معطيات كيفية حول الفرد المبحوث وعائلته وهذا من خلال المعلومات الشخصية، الوضعية العائلية والاجتماعية، الحالة الصحية والسوابق المرضية الفردية والعائلية. التعرف على الأحداث الصادمة المعاشة على المستوى الفردي والعائلي من مختلف الأجيال. وما هو جوهري في هذا الجزء هو إبراز المعاش الصدمي المنقول عبر الأجيال لدى أفراد مجموعة الدراسة، ومعرفة ما إذا كان مشارك بين أفراد العائلة، وكيف ذلك؟ كما تسمح لنا أسئلة هذا الجزء بالتعرف على العواقب البين-جيلية والعابرة للأجيال لهذا المعاش، وتندرج هذه الأسئلة ضمن البعد الأول والثاني للواقع العلائقي.

أما الجزء الثاني من هذا الدليل، فهو عبارة عن استبيان يخص التقييم الذاتي، ويشمل ثمانية وستون (68) بند مستخلص من البعد الثاني، الثالث والرابع للواقع العلائقي. وهذه البنود جمعت في مواضيع وهي: المعاش الصدمي، نوعية الدفاعات، طبيعة العلاقات البين-شخصية، نوعية الاتصال داخل العائلة، الإرث النفسي (الطقوس والأسطورة العائلية)، الولاءات العائلية (مرئية، خفية، منشطرة)، سياق الأبوية، الأخذ والعطاء، تسيير الصراعات، الاتحادات والتحالفات، سياق التثليث، المسؤولية والتضامن العائلي، القواعد العائلية (الواضحة والمبهمة)، الحدود بين الأنساق الفرعية

والمرونة في تحديد الأهداف الفردية والعائلية. ويحظى هذا الجانب بالتحليل الكمي للبيانات التي يتم التحصل عليها.

5.2. طريقة تحليل المعطيات

اعتمدنا على التحليل الكيفي للمعطيات المتحصل عليها من خلال المقابلات النسقية والمخطط العائلي والجزء الأول من دليل تقييم تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال، و تستند قراءة وتحليل المعطيات على مفاهيم النظرية السياقية للتناول النسقي وهذا من خلال شبكة القراءة الأخلاقية العلائقية التي اقترحها بوزورماني ناجي، والتي تهدف الى مناقشة المعاش النفسي الفردي بالإرث النفسي العائلي، الهشاشة الفردية والهشاشة العائلية، نوعية العلاقات، الاتحادات والتحالفات، قواعد الأنساق الفرعية، الأخلاقية العلائقية (الولاء، الشرعية، الأبوية، سياق التثليث، الديون والاستحقاق، الاعتراف بالجميل، المسؤولية والتضامن) بين أفراد العائلة من عدة أجيال. كما تحظى نتائج الجزء الثاني من دليل تقييم تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال بالتحليل الكمي مقارنة بالمتوسط الحسابي الذي يساوي 170، حيث تشير الدرجة الكلية 68 لعدم وجود خطر تناقل الصدمة صدمة الحرب، أما الدرجة المحصورة بين 69 و136 تشير لوجود خفيف لتناقل صدمة الحرب، أما الدرجة المحصورة بين 1137و169 تشير لوجود متوسط لتناقل صدمة الحرب، أم كل نتيجة تعادل أو تفوق المتوسط الحسابي، أي 170 فما فوق، تشير لوجود مرتفع لتناقل صدمة الحرب عبر الأجيال.

3. عرض نتائج الدراسة

من خلال تحليل معطيات المقابلات والمخطط الجيلي للعائلات المدروسة، أظهرت النتائج أن بعض أفراد هذه العائلات يعانون من سياقات مرضية متناقلة عبر الأجيال، مصبوغة بالصدمة النفسية، مع وجود خطر تناقل هذا الإرث الصدمي لأجيال أخرى. حيث أظهر تحليل معطيات المقابلات خصوصية بعض الدفاعات النفسية المسيطرة لدى بعض أفراد هذه العائلات والتي تعبر، وتتمثل في دفاعات من نوع الإنكار، مثلنة الأنا، التماهي الإسقاطي، الاضطهاد، التجنب، الدفاع عن طريق الفعل. وهذا ما أكدته كل من أنا-مريا نيكولو وإليونوراستريناتيAnna-Maria Nicolo و Strinati Eleonora (Nicolo & Strinati,

(2007. حيث أن ما ينقل عبر الأجيال ليس بالضرورة ذكرى الأحداث الصدمية أو المعاش الهوامي المتعلق بالصدمة، وإنما قد يظهر في شكل دفاعات عبر-شخصية، المبنية والموظفة من أجل حماية أفراد العائلة من هذا الحدث الصادم، من آثاره أو من أمكانية تكراره. كما ترى الباحثتان أنا-مريا نيكولو وإليونوراستريناتي أن الدفاعات العبر-شخصية نتاج جماعي مستقر عبر الزمن وينظم من طرف فردين من العائلة أو أكثر المشاعر التي لا يمكن تحملها، كالقلق، الرعب، الخوف من موت أحد أفراد العائلة أو تفككها. وذكرت الباحثتان وجود العديد من الدفاعات العبر-شخصية من بينها الدفاع عن طريق الواقع، المرور للفعل والجسمنة والتي تتوافق مع إحدى مستويات التوظيف العائلي للعائلات التي تلجأ لهذا النوع من الدفاعات. كما يعتبر سياق نقل المعاناة النفسية للآخر، أي نقلها لمكان وزمان آخر، هو أصل تناقل الصدمة النفسية عبر الأجيال والذي من خلاله لم يتم التفكير في تلك المعاناة بسبب الصدمة المعاشة. وأن بعض خصائص التوظيف النفسي والعلائقي المرضي ليست متعلقة بفرد ما (الحامل للعرضية) وإنما بكل أفراد العائلة، وكل واحد منهم يلعب دوره في بناء هذه الخصوصية العرضية المتعلقة بأصله. كل واحد منهم يتفاعل بصفة مختلفة حسب تجاربه وكفاءاته، سواء بالمعاناة أو الدفاع (Nicolo & Strinati, 2007).

وهذا ما استخلصناه من مقابلاتنا مع عائلات البحث الحالي، حيث أمام وضعيات ضاغطة وصادمة أحيانا، التي واجهها أفراد هذه العائلات، أصبحت هذه الدفاعات المسيطرة غير مجدية أمام تهديد ثنائي، الأول خارجي، واقعي (الحدث الصدمي) يعيشه الفرد، والثاني داخلي، موروث من الأجيال السابقة (من الأباء أو الأجداد) ذو محتوى مشفر يظهر من خلال الأحلام الصدمية وموضوع الاضطهاد. حيث تظهر اللوحة العيادية للصدمة النفسية لدى أفراد هذه العائلات جد معقدة وتأخذ طابع الشكل المزمن، وفي أغلب الحالات يكون مرتبط باضطرابات أخرى كالاكتئاب والإدمان (كحول أو مخدرات) وحالات الهذيان لدى البعض في فترات الضغط الحاد.

وهذه العرضية لا تجد معناها إلا في دورة حياة العائلة أو من خلال معاش الأجيال السابقة (جيل الثورة)، حيث يرى كل من بيار فيسون Pierre Fossion وماري كارمن ريجاسMary Carmen Rejas في دراستهم لعائلات أحفاد اليهود الناجون من المحرقة،

أن لهذه العائلات خصوصيات علائقية تجعلنا نعتبر أن الأعراض التي يعاني منها الأحفاد حاليا يمكن أن نجد أصولها في صدمة المحرقة المتناقلة عبر الأجيال. كما استخلص الباحثون أن التناول العلاجي الذي يمكن أن يساعد هذه العائلات يعتمد على التدخلات العيادية التي تعمل على تدعيم وتقوية الروابط والاتصال بين الأحفاد والأجداد الناجون من المحرقة. (Fossion & Rejas, 2007)

أما من ناحية العلاقات العائلية نستخلص ظهور سياقات مرضية من نوع الدائرية، حيث نجد سياق التثليث، سياق الأبوية، الولاء الخفي للأجيال السابقة والشرعية الهدامة. وهذه السياقات التي تحمل في طياتها بصمات صدمية لأحداث عاشها جيل الثورة، والتي بقيت غير مرصنة وأخذت شكل سر أو "ما لا يقال" (non-dits) (خاصة المتعلقة بالجانب الجنسي كالاعتداءات على النساء أو حتى على بعض الرجال) والذي أصبح من بين القواعد العابرة للأجيال المسيطرة على النسق العائلي، بمعنى كل ما يؤلم يبقى في صمت، مما يعيق سياق التضامن داخل هذه العائلات.

ونظرا لحدة المعاناة التي وجد فيها نفسه جيل الأجداد بعد الثورة نفسه (صدمات الحرب)، خاصة أولئك (الأجداد) الذين تعرضوا للتعذيب والاضطهاد، حيث كان من الصعب عليهم ممارسة الوظيفة الأبوية وحتى الزواجية خاصة وأن الجدول العيادي للصدمة النفسية كان شديد لدى البعض، ولم يجدوا أي ملجأ علاجي غير الإدمان على الكحول مما أزم وعقد لديهم الجانب العلائقي. ولتغطية هذا الفراغ تم استثمار الوظيفة الأبوية مع الأبناء، حيث أصبح في هذه الحالات أحد الأبناء أبا لأبيه وتحمل مسؤوليات تفوق سنه. وهذا ما أكدته نتائج دليل تقييم تناقل الصدمة النفسية عبر الأجيال على مستوى جيلين، غير أن سياق الأبوية لم يتوقف لدى الجيل الثاني وانما نقل لجيل الأحفاد. لأن ذلك الابن الذي تحمل في صغره مسؤوليات كبيرة عندما أتى دوره ليتحملها كأب أظهر فشله في ذلك، وبالتالي ما على أحد أبنائه إلا تولي تلك المسؤوليات، حيث يعتبر بوزورماني ناجيوسبارك Boszormeniy-Nagy &Spark(1973) الأبوية على أنها تشوه ذاتي للعلاقات أين يكون في أغلب الحالات شريكها الطفل، حيث يصبح هذا الأخير أب لوالديه (أو أحدهم).

وتعني الأبوية عدم الاعتراف العادل بمساهمة الطفل الذي يتقلد عدة أدوار: دور المعالج، كبش الفدى والذي يسمي أيضا بالأضحية، كما يمكن أن يكون له دور المحايد. كما أن الأبوية هي ذلك الجزء المدمج في أي علاقة، ولا تعتبر كظاهرة مرضية بحد ذاتها بالنسبة لهذين الباحثين، غير أن شدة بعض العلاقات يؤدي إلى نوع من النكوص، حيث أن الشريك الأبوي يتمنى بناء علاقة من نوع طفولي أو ملكية. والجانب المرضي في سياق الأبوية يبدأ عندما يختل ميزان الأخذ والعطاء، حيث يحاول الراشدون من خلال علاقاتهم الحالية مع أولادهم أو مع شركائهم الراشدين، تعويض ما افتقدوه في طفولتهم. (Boszormeniy-Nagy & Spark, 1973, cité par Heck & Janne, 2011)

أما فيما يخص الاتصال بين أفراد هذه العائلات فهو يندرج أكثر ضمن السجل غير الكلامي، مما يميز تسيير العلاقات بقواعد غامضة وغير مصرح بها، بمعنى أن كل اختلاف يؤدي الى صراع بين-جيلي، مع صعوبة كبيرة في معالجته بما انه من بين القواعد المتفق عليها داخل الأنساق العائلية المدروسة نجد تلك التي تقول "ما هو مؤلم لا جدال فيه"، وهذا ما يجعل من العلاقات بين أفراد العائلة إما متباعدة، مع انفصالات متكررة، وإما صراعية ومتوترة، وأغلبها تبقى بدون حلول مرضية. حيث أشارت كل من الباحثتين آنا-مريا نيكولو وإليونوراستريناتيAnna-Maria Nicolo وEleonora Strinati أن البعد ما قبل-كلامي يمكن أن يشكل مخزن للتجارب الصدمية المتناقلة عبر الأجيال، وأنه على هذا المستوى يمكن ملاحظة جزء من الدفاعات العبر-شخصية للعائلة (Nicolo & Strinati, 2007) .

كما بين تحليل نتائج المقابلات ونتائج دليل تقييم تناقل صدمة الحرب، أن بعض هذه العائلات تعاني من صعوبة ممارسة مبدأ المسؤولية المشتركة والتضامن العائلي، على الرغم من وعيها بهذا ومطالبة بعض أفرادها لهذه الممارسة الا أنها لا تتمكن من تحقيقها، لأن هذه المطالبة تمر دائما من شخص ثالث (وسيط) وتعاش على انها أزمات علائقية والتي تبقى في غالبها بدون حل، وأحيانا تؤدي إلى انقطاع الروابط وانفصال في العلاقات، بحيث وجدوا ذلك حتى مع العائلات اليهودية الناجية من المحرقة، حيث يبدو الأمر مشابه نوعا ما.

هنا يرى كل من بيار فيسون Pierre Fossion وماري-كارمن ريجاس Mary-Carmen Rejas أن الصمت وعدم التحدث عن معاناة الأجداد آنذاك مشروط ببقائهم على قيد

الحياة، فغياب التراث التاريخي يعرقلهم في مسألة أقوال وتصرفات أبائهم وأجدادهم. منع الذاكرة، غياب الماضي، عدم إمكانية التذكر يعرقل كل سياق تطوري لهذه الأنساق العائلية، حيث يستدعى أنه كلما واجهت هذه العائلات وضعيات جديدة لا يمكنها الإعتماد على تجاربها السابقة، لذلك كل مرحلة من دورة حياة العائلة تأخذ أزمة دائمة في ظاهرها صعبة الحل. (Fossion & Rejas, 2007)

كما يبدو أن لسياق الولاء الخفي في هذه العائلات مهمة التعبير عن معاناة الأجداد والأباء، وهذا بالتمسك بجو معاناة عائلية مجتاحة. الولاء الخفي هو ذلك السياق الذي يعمل على خلق اشكاليات ووضعيات متشابهة (وضعيات المعتدي أو الضحية ...) مما يفسح المجال باستقرار عرضية عابرة للأجيال مثل الاكتئاب، اللجوء للعنف والسلوكيات الإدمانية (الكحول و/أو المخدرات). وفي هذا الصدد ترى المعالجة العائلية السياقية كاترين دوكومان-ناجي Catherine Ducommun-Nagy(2010) أن الولاء العائلي هو أساس أخلاقية العلاقات داخل العائلة، حيث تتأسس على توقع العدالة بين الأجيال وتعتبر الأخلاقية العلائقية مصدر إرجاعية بالنسبة لكل فرد من أفراد العائلة.

ويوضح ناجي بوزورمانيBoszormeniy-Nagyعلى لسان دوكومان-ناجي Ducommun-Nagy (2010)، أن الولاء العائلي يجد أصوله في ذلك التفرغ والاهتمام الذي يظهره الأولياء اتجاه أبنائهم، وكذلك في ذلك الدين الذي يحمله الأبناء اتجاه والديهم. وإذا بنيت العلاقات العائلية على الثقة والولاء المتبادل، يمكن أن يعتمد الفرد على دعم أهله في الأوقات الصعبة من حياته. غير أنه عندما يأخذ الولاء شكله الخفي فيصبح بحد ذاته مؤشرا لوجود اضطرابات على المستوى الفردي واختلال التوظيف على المستوى العائلي. الأمر الذي تؤكده آن-أنسلينتشوتزنبرجر Schützenberger (2015) حيث ترى أننا حلقة وصل في سلسلة من الأجيال، والغريب في بعض الأحيان، أننا مجبرون على دفع الديون الماضية لأجدادنا. والولاء الخفي مظهر من مظاهر هذه الرابطة التي تدفعنا، شئنا أو أبينا، بعلمنا أو لا، لتكرار الوضعيات المريحة أو الأحداث المؤلمة.

كما أننا أقل حرية مما نعتقده لكن تبقى لنا إمكانية الفوز بحريتنا والخروج من قدر تكرار تاريخنا، وهذا بفهم تلك الروابط المعقدة التي نسجناها داخل العائلة وإعادة التفكير فيما لا يقال عن التاريخ العائلي. وعلى سبيل المثال نجد في العائلة الأولى، جدة

"سعاد" التي تعرضت للتعذيب الجسدي والاعتداء الجنسي من طرف الضابط الفرنسي الذي كان يستجوبها للحصول على معلومات خاصة بزوجها وإخوتها المجاهدون، لكن هذه الوقائع بقيت غير متداولة في الفضاء العائلي، إلا أنه في أحد الأيام تذهب "سعاد"(حيث كان عمرها 12 سنة فقط) مع الجدة للحمام وتتفاجأ برؤية أثار التعذيب على جسم جدتها ولم تجرأ عن سؤالها. وبعد أيام تناقش "سعاد" الأمر مع أمها تخبرها بأن الجدة سجنت لمدة شهرين وتعرضت للتعذيب، لكن لم تسرد تفاصيل تعذيبها وطلبت من "سعاد" عدم طرح أسئلة أخرى لأنها فترة مضت وانتهت. وتشأ الأقدار أن العائلة تهاجر وتستقر بفرنسا لفترة، وفي إحدى السهرات تعرضت "سعاد" لاعتداء جنسي من طرف صديق فرنسي، مما سبب لها ظهور أعراض الصدمة النفسية مرافقة بحالة اكتئابيه حادة. غير أن تفاصيل التعذيب الذي تعرضت له جدتها لم تسرد إلا اثناء إجراء مقابلات البحث مع عائلتها (من طرف الأم)، والتي كان الأب (مجاهد وابن مجاهدة) يتجنب المشاركة فيها.

الأمر الملاحظ لدى أفراد عائلات مجموعة هذه الدراسة التي يطغى على نمطها الإتصالي -ما لا يقال-عن المعاش الصدمي للأجداد أثناء الثورة وتلك الأحداث المتعلقة بالتعذيب، التي أخذت العرضية المزمنة فيها الصدارة (الإكتئاب، العنف والمرور للفعل، الإدمان ...) ليثبت أفراد العائلة الحالية مدى ولائهم لمعاناة أجدادهم ولكن بشكله الخفي لأنه بدون تدخل علاجي يصبح غير مسموح لهم التصريح بولائهم. ومثل هذه الوضعيات تجعل العائلات دائما في حالة تعدد أزماتها الصراعية حيث تكون العلاقات متوترة وسيرورة الأخذ والعطاء يصيبها الجمود، كما لاحظنا أفرادا عالقين في وضعية العطاء دون الحصول على الاعتراف أو أخذ الاستحقاق العادل لتضحياتهم مساهماتهم اتجاه العائلة. وفي الواقع، الأخلاقية العلائقية بين أفراد هذه العائلات جاءت مختلة جراء اختلال ميزان الأخذ والعطاء.

أما فيما يخص النتائج المتحصل عليها من خلال الجزء الثاني من دليل تقييم تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال فكانت على النحو التالي كما هي مبينة في الجدول رقم (02):

الجدول رقم (2) : النتائج الكلية لاستبيان التقييم الذاتي لتناقل صدمة الحرب عبر الأجيال لدى مجموعة الدراسة

	الأفراد المشاركين في الدراسة	الصفة القانونية	الدرجة الكلية	التحليل الكمي لتناقل صدمة الحرب مقارنة بالمتوسط الحسابي
العائلة 01	1.سعاد	إبنة وحفيدة مجاهدين	155	متوسط
	2.سفير (إبن سعاد)	حفيد مجاهد	140	متوسط
العائلة 02	3.عبد الرزاق	حفيد مجاهد	208	مرتفع
	4. فريدة (أخ عبد الرزاق)	حفيدة مجاهد	185	مرتفع
العائلة 03	5. زهرة	بنت شهيد	183	مرتفع
	6. الهادي (إبن زهرة)	حفيد شهيد	167	متوسط
	7. حسين (إبن زهرة)	حفيد شهيد	182	مرتفع
	8. ويزه (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	138	متوسط
	9. ليلية (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	128	متوسط
	10.وردية (إبنة زهرة)	حفيدة شهيد	185	مرتفع
العائلة 04	11. وردية	حفيدة شهيدة	187	مرتفع
	12.حسين(إبن وردية)	إبن حفيدة شهيدة	194	مرتفع
	13. فضيل (إبن وردية)	إبن حفيدة شهيدة	164	متوسط
	14. دليلة (إبنة وردية)	إبنة حفيدة شهيد	125	متوسط
العائلة 05	15. حميد	إبن مجاهد	165	متوسط
	16. عشور (أخ حميد)	إبن مجاهد	164	متوسط
العائلة 06	17. نوارة	إبنة مجاهدين	170	مرتفع
	18. سميرة (أبنة نوارة)	حفيدة مجاهدين	149	متوسط
العائلة 07	19. مالحة	حفيدة مجاهدين	173	مرتفع
	20. محمد (أب مالحة)	أبن مجاهد	150	متوسط
العائلة 08	21. حدة	بنت مجاهد	151	متوسط
	22. سعيد (إبن حدة)	حفيد مجاهد	125	متوسط
العائلة 09	23. مريامة	حفيدة مجاهد	131	متوسط
العائلة 10	24. ثنينة	حفيدة مجاهدين	179	مرتفع

يبين الجدول رقم (02) أن كل أفراد عائلات الدراسة يعانون من خطر تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال، ولكن بنسب متفاوتة، ومتباينة حتى بين أفراد من نفس العائلة، ولا يوجد تباين في النتائج بين أحفاد الشهداء وأحفاد المجاهدون.

الجدول رقم (03) بين توزيع النسب حسب مستوى تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال لدى أفراد الدراسة مقارنة بالمتوسط الحسابي

خفيف		متوسط		مرتفع	
التكرار	النسبة%	التكرار	النسبة %	التكرار	النسبة %
04	% 16.67	10	%41.67	10	%41.67

كما يوضح الجدول رقم (03) أن 41.67% من أفراد مجموعة الدراسة يندرجون ضمن المستوى المرتفع من خطر تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال، وهم الذين تحصلوا على درجة كلية تساوي أو تفوق المتوسط الحسابي أي الدرجة المحصورة بين 170 و248، وبنفس النسبة 41.67% يندرجون ضمن المستوى المتوسط، والذين نتحصر درجتهم الكلية ما بين 137و169. كما سجلنا وجود خفيف لخطر تناقل صدمة الحرب لدى عينة الدراسة وهذا بنسبة 16.67%، والتي تنحصر درجتهم الكلية بين 69 و136.

الجدول رقم (04) يمثل نتائج التقييم الذاتي لخطر تناقل صدمة الحرب عبر الأجيال حسب الأبعاد والمحاور

الأبعاد	المحاور	متوسط الأبعاد والمحاور في الاستبيان	تكرارات العينة (يساوي او أكبر من متوسط الاستبيان) من مجموع 24 فردا	النسبة المئوية بالنسبة لكل محور
المعاش النفسي الصدمي	أعراض الصدمة النفسية	10	16	% 66.67
	المعاناة العلائقية لها علاقة بمعاناة الأجداد جراء الحرب	12.5	13	% 54.17
	الإرث النفسي ذو الطابع السلبي	10	09	% 12.50
الميكانيزمات الدفاعية	الإنكار	2.5	10	% 46.67
	توكيد الذات	2.5	14	% 58.33
	التماهي الإسقاطي	2.5	13	% 54.17
	الاضطهاد	5	12	% 50.00
	التجنب	2.5	12	% 50.00
	التفكك العصابي	2.5	6	% 25.00
	الدفاعات النرجسية (القدرة المطلقة، المثلنة، التخفيض من قيمة الموضوع)	7.5	13	% 54.17
	الدفاع عن طريق السلوك والمرور للفعل	5	14	% 58.33
	آلية الترقب	2.5	5	% 20.83

طبيعة الاتصال بين أفراد العائلة	لفظي	5	14	% 45.83
	غير لفظي	7.5	14	% 58.33
نوعية العلاقات بين-شخصية	متوترة وصراعية	7.5	7	% 29.17
كيفية تسيير الصراعات العائلية	سلبية أو بدون حل	5	14	% 58.33
	تبقى محصورة بالصمت	5	14	% 58.33
الحدود بين الأنساق الفرعية	واضحة	2.5	11	% 45.83
	صلبة	2.5	11	% 45.83

اختلال الأخلاقية العلائقية	السياقات الثلاثية المرضية	**متوسط المقياس15**	تكرارات 12	50.00 %	التحالف	2.5	9	% 37.50
					التثليث	5	14	% 58.33
					الابوية	7.5	13	% 54.17
	الولاءات المرضية	**متوسط المقياس10**	تكرارات 11	45.83 %	صراع الولاء	5	13	%54.17
					انشطار الولاء	2.5	8	% 33.33
					الولاء الخفي	2.5	12	% 50.00
	اختلال ميزان الأخذ والعطاء بين أفراد العائلة				**10**		9	% 37.50

جاءت هذه النتائج مدعمة لنتائج المقابلات النسقية والمخطط الجيلي لعائلات الدراسة، حيث تظهر النتائج أن المعاش النفسي لهذه الفئة تطغى عليه المعاناة النفسية. إذ يعاني 66.67% من أعراض الصدمة النفسية، حيث كانت أغلبها من خلال الكوابيس المتعلقة بالحرب، اجتياح الفكر بصور صدمية، يرفقها اجتياح انفعالي ومشاعر الغضب. كماأن 54.17% منهم يظهرون معاناة علائقية، لها علاقة بمعاناة الأجداد أثناء الحرب، غير أن 12.5% فقط كان الإرث النفسي لديهم سلبي ولا يفتخرون بتضحيات الأجداد مقارنة بالمعاناة الاجتماعية التي تعرض لها أباءهم بفقدانهم لأباءهم (الشهداء منهم والمجاهدون).

وهذه الهشاشة تتوضح أكثر من خلال الميكانيزمات الدفاعية الموظفة على المستوى الفردي لتسيير وضعيات الضغط. حيث كانت على النحو التالي: الدفاع عن طريق السلوك والمرور للفعل لدى 58.33%، الحاجة لتوكيد الذات لدى 58.33%، اللجوء للتماهي الإسقاطي لدى 54.17%، الدفاعات النرجسية (المثلنة، القدرة المطلقة والتقليل من قيمة الموضوع) بنسبة 54.17%. كما يعاني50%من هؤلاء الأفراد من سياق التجنب، و50% من الاضطهاد، 46.67% من الإنكار، 25% من التفكك العصابي و20.83% من آلية الترقب.

أما طبيعة الاتصال بين أفراد هذه العائلات فيسود عليها الاتصال غير اللفظي لدى 58.33%، حيث تتميز العلاقات بين-شخصية بالصراع والتوتر الظاهر لدى 29.17% لدى العلاقات المتقاربة، غير أنه لدى الباقي تتميز بالتباعد وعدم الاهتمام. أما عن كيفية تسيير الصراعات العائلية لدى هذه الفئة، فكانت سلبية أو بدون حل عند تناولها لدى 58.33% من مجموعة الدراسة، وعند 58.33% تبقى محصورة بالصمت، وهذا يبين كذلك هيمنة "ما لا يقال" في التوظيف العائلي. أما فيما يخص الحدود بين الأنساق الفرعية، فكانت واضحة لدى 45.83% وصلبة بنفس النسبة.

أما عن مميزات سياقات الأخلاقية العلائقية بين أفراد مجموعة الدراسة بينت النتائج هيمنة سياقات الدائرية/الثلاثية لدى 50% منهم، وتمثلت في سياق التثليث بنسبة 58.33%، سياق الأبوية بنسبة 54.17% وسياق التحالف بنسبة 37.50%. كما يعاني أفراد مجموعة الدراسة من الولاءات المرضية، حيث نجد 54.17% يعانون من صراع الولاء، 50% من الولاء الخفي و33.33% من انشطار الولاء وهذا ما يثبت الدفاعات الفردية خاصة من نوع الإنكار والاضطهاد. وكل هذه السياقات المرضية تجعل من ميزان الأخذ والعطاء مختل لدى 37.50%.

4. مناقشة النتائج

من خلال تحليل نتائج الدراسة المتحصل عليها استخلصنا أن لأفراد عائلات مجموعة البحث دفاعات هشة من نوع الإنكار، مثلنة الأنا، التماهي الإسقاطي، الاضطهاد، التجنب، الدفاع عن طريق الفعل. وتميز التوظيف النفسي لهؤلاء الأفراد (الجيل الحالي) بدفاعات هشة لم يسمح لهم بإجاد قنوات أخرى تسمح لهم بتسيير الأزمات وإرصان

الصدمات المعاشة مما فسح المجال لظهور أعراض الصدمة النفسية، كما أخذت شكلها المزمن لدى بعض أفراد هذه العائلات وهذا من خلال استقرار سياق الجسمنة وهيمنة الحالات الإكتئابية الحادة والسلوكات الإدمانية.

كما يبدو أن بروز سياق التثليث في العلاقات وسياق الأبوية لدى الجيل الثاني أمر مفروغ منه أمام هشاشة الوظيفة الأبوية لجيل الثورة (الأجداد) -الذي خرج من حرب مثقل بمعاناة نفسية شديدة دون إمكانية الحصول على العلاج، في غياب الإمكانيات آنذاك -ومن جهة أخرى تشخيص الصدمة النفسية في ذلك الوقت (بعد الاستقلال) لم يكن بالأمر المتمكن منه علميا رغم كل الأدبيات المنشورة فيما يخص مفهوم عصاب الحرب. غير أن سياق التثليث والأبوية تم تناقله عبر الأجيال، وهذا ما يوحي لتوارث هشاشة البنية العائلية رغم محاولة البعض من هذه العائلات (من خلال أفرادها) استثمار موارد أخرى قد تسمح لها باكتساب أنماط علائقية واتصالية أكثر مرونة.

كما إستخلصنا لدى أغلب العائلات المدروسة، من الناحية الإتصالية، هيمنة "ما لا يقال" حول المعاش الصدمي للأباء و/أو الأجداد إبان الثورة، فيما يخص المعاش بحد ذاته خاصة التفاصيل المتعلقة بالتعذيب الذي تعرضوا له. حيث يعتبر "موضوع لا يسمح تناوله في العائلة"، وعند البعض منهم غير مرخص حتى التفكير فيه، كما صرح أحد الأفراد بعبارات جد ثقيلة لوصف هذا السياق العائلي حول هذا الموضوع بـ"منطقة ملغمة"، "نحس بأنه هناك أمور حدثت لكن لا نعلم موضوعها"، وهذا ما يبرز أهمية تناقل الجانب الإنفعالي الخاص بالصدمات عبر الأجيال، على الرغم من تجنب كل ما يحمله من أفكار أو حتى هوامات. وهذا الجو الإتصالي داخل العائلة أعطى طابع خاص للعلاقات، إما متباعدة تجنبية، إما إلتحامية قصد الحماية المفرطة.

يفرض سياق التجنب-المسيطر على الأنماط الإتصالية-على أفراد هذه العائلات تجنب كل ماهو مؤلم مما يخلق في الأسطورة العائلية مناطق غامضة عبر الأجيال تفسح المجال للتباعد بين أفرادها أو العكس، التلاحم قصد الحماية المفرطة. غير أن هذا يجمد أدوار الأفراد، إما في وضعية العطاء المفرط لفرد ما (غالبا ذلك الذي تم استثماره في سياق التثليث أو الأبوية) دون الحصول على الإعتراف العادل من طرف باقي الأفراد المستفيدين من هذا العطاء.

هذه الوضعية، وقصد البحث الدائم لهذا الإعتراف يجعل من الفرد يرفض بصفة غير مصرحة الأخذ، أو أنه لايفسح المجال لأي فرصة لكي يستقبل أي عطاء من عائلته. بمعنى، حسب تعبير بعض أفراد العينة، من تعود على العطاء من الصعب عليه الأخذ، أو حتى أنه يعتقد الآخرون أنه ليس بحاجة للمساعدة أو حتى الإعتراف بما يقوم به من تضحيات من أجل عائلته. هذا ما يبرز مدى إختلال ميزان الأخذ والعطاء وفقر الأخلاقية العلائقية في العلاقات العائلية.

يعتبر الولاء الخفي للأجيال السابقة من خلال العرض الذي يعاني منه أحد أفراد العائلة (أو أكثر) أو من خلال تكرار وضعية الضحية في سياق اللوحة المحورية (خاصة تلك المتعلقة بضحية إعتداء أو محاولة إعتداء جنسي) عبارة عن سعي لكسب الشرعية المفقودة لمعاناة جيل الثورة. ونلتمس إصرار هذا المسعى حتى وإن كان في هيئته الهدامة، ويضع فرد أو أكثر في حالات الخطر (كالإفراط في الإدمان على الكحول أو المخدرات، التواجد في وضعيات خطر التعرض للإعتداء، والمرور للفعل من خلال السلوك العدواني) شكل من أشكال الولاء غير مرئي (خفي) لمعاناة الأباء أو الأجداد، ومحاولة لإستعادة الشرعية المفقودة للأجيال السابقة". ومن خلال ما سبق عرضه يمكن القول أنه تأكدنا من صحة فرضيةدراساتنا، والتي مفادها: يظهر تناقل الصدمات المعاشة من طرف أفراد جيل حرب التحرير عبر الأجيال من خلال ميكانيزمات فردية هشة (دفاعات مننوع الإنكار،مثلنة الأنا،التماهي الإسقاطي، الاضطهاد، التجنب، الدفاع عن طريق الفعل) وسياقات علائقية مرضية من نوع دائرية (كسياق التثليث،سياق ا لأبوية، الولاءات المرضية) في نفس السيرورة.

خاتمة

نختم هذه المساهمة البحثية بالإشارة إلى أن البحث في موضوع تناقل الصدمات النفسية عبر الأجيال، يضع الباحث في وضعية بحث وتدخل في نفس الوقت، وهذا من خلال استعمال أدوات التدخل النسقية، على رأسها المساءلة الدائرية والتحيز المتعدد الاتجاهات أثناء المقابلات النسقية مع أفراد العائلات وبناء المخطط العائلي الجيلي. المشاركة في هذا البحث أعطت لهذه العائلات فرصة فتح مجال التفكير في وضعياتها وفهم نوعا ما المشاكل العائلية الضمنية التي تعاني منها على مستوى ثلاث أجيال على الأقل، الأمر الذي تطرق له موري بووين (Bowen, 1984)، والذي يرى أن الأجندة(المفكرة)

العائلية تسمح بتسجيل التاريخ كما تبنيه العائلة، تفسر الحاضر وتخطط بصفة عامة للمستقبل انطلاقا من قصة الماضي العابرة للأجيال.

قد لا يمكن الجزم بالأثر العلاجي للتدخلات التي تم إعدادها أساسا إستجابة للبحث الحالي، غير أنه قد تم التوصل –لدى بعض العائلات- إلى إدراك حجم معاناة أفرادها والتسجيل في سياق علاجي عائلي أو فردي. في الأخير يمكن القول، كما أكدت ذلك آن-أنسلين تشوتزنبرجر Schützenberger (2004)، أن كل فرد مشبع، سواء أحب ذلك أم لا، بهذه الروابط و العادات من الولاءات العائلية و الصدمات النفسية و الحداد الذي لم يتم معالجته على المستوى العائلي.

المراجع

1. كرليل عبد القادر، 2016 . القضية الجزائرية في الأمم المتحدة 1955-1961، آفكار و آفاق، العدد 08، الجزائر، جامعة الجزائر 2، ص ص 61-92.
2. Andolfi, M. 1985. *La forteresse familial.*Paris: Bordas.
3. Boszormenyi-Nagy I., & Spark G.-M., 1973. *Invisible loyalties; reciprocity in intergenerational family therapy.* New York: Harper Collins Publishers.
4. Bowen M., 1978. *Family therapy in clinical practice.*New York: J. Aronson.
5. Bowen M., 1984. *La diffirenciation du soi, les triangles et les systèmes émotifs familaux.* Paris: ESP.
6. Courtois A., 2003. Le temps des héritages familiaux. Entre répétition, transformationet création. *Thérapie familiale*, 24 (01), pp. 85-102.
7. Cramer B., 1996. *Secrets de femmes, de mère à fille.* Paris: Calman Lévy.
8. Ducommun-Nagy C., 2010. Loyautés familiales et processus thérapeutique. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseau, 01*(44), pp. 27-42. Récupéré sur https://www.cairn.info/revue-cahiers-critiques-de-therapie-familiale-2010-1-page-27.htm
9. Fanon F., 1961. *les damnés de la terre.* Paris: Maspero.
10. Fossion P., & Rejas M.-C., 2007. Prise en charge des familles traumatisées, l'apport de Siegi Hirsch. *Thérapie Familiale, 28*(03), pp. 231-247.
11. Heck L., Janne P., 2011. Vous avez dit "Parentification"? Revue du concepte et réactualisation selon les derniers résultats empiriques. *Thérapie familiale, 32(02),* pp. 253-274.

12. Hifez S., 2004. *Quand la famille s'enmêle.* france : Hachette Littératures.

13. Lagache D., 1949. *L'unité de la psychologie.*Psychologie expérimentale et psychologie clinique. Paris: PUF.

14. Michard P., 2017. *la thérapie contextuelle de Boszormenyi-Nagy. Enfant, dette et don en thérapie familiale.* Belgique: De Boeck Supérieur.

15. Mouheb Z., Moussa-Babaci F., 2016. Transmission des traumatismes de guerre. Etude systémique. Dans F. Moussa-Babaci, *Pratiques culturelles, contextes de violence et identité* (pp. 136-144). Deutschland/Allemagne: éditions universitaires européennes.

16. Nicolo A., Strinati E., 2007. Transmission du traumatisme et défense transpersonnelle dans la famille. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux, 01*(38), pp. 61-79.

17. Rey A., 1964. *L'examen clinique en psychologie.* Paris: PUF.

18. Schützenberger A. A., 2015. *Aïe, mes aïeux !* Paris: Desclée de brouwer.

19. Schutzenberger A. A., 2004. Secrets, secrets de famille et transmissions invisibles. *Cahiers critiques de thérapie familiale et de pratiques de réseaux*, 02(33), pp. 35 - 54.